﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)

بتاريخ [٣١-١٠-٢٠١٤]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ويُعز ويذل، ويُكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويُغني ويقني، ويضحك ويبكي، ويبتلي ويعافي، خزائن كل شيء بيديه، ومنتهى الأمور كلها إليه لا إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. لا راد لما قضاه الله، ولا مانع لما أراده الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه- أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيها الإخوة، فدائمًا وأبدًا، وفي خضم الفتن المتلاطمة، وفي خضم النوازل العارضة، علينا أن نستعين بالله -سُبْحَانه- وأن نُقبل على كتابه -عَزَّ وَجَلَّ- وعلى سنة رسوله الأمين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نستضيء بهما ونستبصر، فدومًا المخرج في تقوى الله -سُبْحَانه- ثم كتاب الله منارات، آياته منارات وبصائر نستنير بها ونستبصر، قال الله -سُبْحَانه-: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]. وقال الله -سُبْحَانه- أيضًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ [المائدة: ١٦].

فعلينا بكتاب الله، وعلينا بسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فنتناول في هذا المقام، بعض الآيات من سورة: (الشورى)، بالبيان، سألًا الله أن ينفعنا وإياكم بكتابه، وبسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكتاب الله كتابٌ مبارك، ومن بركات هذا الكتاب

العزيز، أنك إذا تلوته تثاب، واذا استمعت إليه تُرحم، وإذا تعلمته ترتفع درجتك، وتستبصر به وتستنير وتستضيء، وتستجلب بذلك محبة الله لك، وتدخل في الخيرين، إذ النبي قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وتدخل كذلك في الربانيين، إذ الله قال: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. فهذا شيءٌ من بركات هذا الكتاب العزيز، فضلًا عن أنه يشفع لك يوم القيامة، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعًا يوم القيامة لأصحابه، اقرأوا البقرة وآل عمران فإنهما تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة، تأتيان كغاممتين، أو غايتين من طيرٍ صواف، تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة».

وتعلمك لآية من كتاب الله خير لك من ناقة، وتعلمك لآيتين خير لك من ناقتين، ومن أعدادهن من الإبل، فلذا لزم التذكير بكتاب الله، يقول -تعالى- في آياتٍ من سورة: (الشورى) مطلعها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾ [الشورى: ٢٥]. يُذكر الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- برحمته بعباده، ويحثهم على التوبة والإنابة إليه، بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾. يقبل رجوع العباد إذا رجعوا إليه، فمهما ارتكبت من جنايةٍ، ومهما فعلت من كبيرةٍ، ومهما وقعت في معصيةٍ، وأردت أن ترجع إلى الله قبل مماتك، فأبواب التوبة لك مفتوحة، ويفرح الله برجوعك إليه، وقدومك إليه، ولقد قال -تعالى- في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣]. ورسوله الأمين يقول: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهارِ ليتوب مُسيء الليلِ». فقال إن للتوبة بابًا مفتوحًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، فمهما ارتكبت من جنايةٍ فباب التوبة لك مفتوح، فبادر بالرجوع ولا تيأس من رحمة الله، فإن اليأس من رحمة الله، والقنوط من روح الله، كبيرتان من الكبائر، قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وقال الخليل -

عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر: ٥٦]. وقد ذكر فريقٌ من أهل العلم في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ذكروا أقوالًا منها: أن من الإلقاء باليد إلى التهلكة، أن يذنب الشخص الذنبَ، فيقول: لن يغفر لي، فيترك الاستغفار فإذا ترك الاستغفار فقد هلك، أو ألقى بيديه وبنفسه إلى التهلكة، فإياك أن تيأس من رحمة الله، فربك يفرح برجوعك إليه، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لله أفرح بتوبة عبده، من أحدكم كان بفلاة من الأرض، ومعه راحلته عليها زاده، طعامه وشرابه، فأضل راحلته فبحث عنها فلم يجدها، فاستسلم للموت». آيس من رجوع الراحلة إليه، عليها وهو في الصحاري، الطعام والشراب والزاد، «فنام مستسلمًا للموت، واضعًا خده على يده فنام فاستيقظ فإذا بالراحلةِ عند رأسه، فقال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». فالله يفرح بك إذا رجعت إليه، وإذا أقبلت عليه فرحًا أشد من فرحي هذا الذي وجد راحلته بعد أن أضلها وكاد أن يهلك ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. يتجاوز عنها ولا يؤاخذ بها كثيرًا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

حثٌ على مراقبة الله، فأينما كنت فإن الله يراك، ويعلم ما تصنع، فلتحرص على أن تقوي في نفسك مراقبة الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليك أن تسعى كي يقوى عندك، كي تقوى ملكة مراقبة الله، التي هي منزلة الإحسان التي قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في بيانها: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك». ولقد قال لقمان لولده يعلمه هذا الأصل، أصلًا عظيمًا، ألا وهو مراقبة الله -سُبْحَانه- قال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾. أي: المعمولة التي تعملها، من حسنةٍ أو سيئةٍ، ﴿إِنْ تَكُ﴾. أي في صغرها ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾. أي عُملت في صخرة أحاطت بك ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]. يعلم ولده هذا الأصل، يا بني إن كنت داخلًا في صخرة، والصخرة محيطةٌ بك من كل الجوانب، فعملت عملًا، الله

سيوافيك به يوم القيامة، وكذلك إذا كنت في أي مكانٍ في السماوات، وعملت عملًا فإن الله سيوافيك به يوم القيامة، وكذا إذا كنت في أي مكانٍ في الأرض، فلا تظن أنك تخفى على الله، فإن الله يأتي بما عملته يوم القيامة، وإن دق، وإن صغر، وإن كان من العلماء من أورد وجهًا آخر، من وجوه التفسير لقوله: ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾. قال: اللقمة المقسومة لك، والرزق المقسوم لك سيأتيك في أي مكان كنت، ولو كنت داخلًا في صخرة، أو في قمة جبل، أو في بئرٍ سحيق، أو في أي مكانٍ في السماء سيأتيك الرزق الذي كتبه الله لك.

الشاهد: أننا نرجع إلى آيات الشورى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]. فهذا حثٌ على مراقبة الله، فتدرب على هذا، تدرب على تقوية أمر المراقبة في نفسك، وأمر الإخلاص في نفسك، أسأل الله أن يرزقك ذلك أولًا ثم تدرب عليه، قم من الليل والناس نيام، حتى زوجتك لا تشعر لا تشعر بك، فصلي والناس نيام، يقوى عندك، أمر المراقبة تتقوى فيه «تصدق بصدقة في السر، حتى لا تعلم شمالك ما تنفق يمينك». تقوى عندك المراقبة، أمورٌ بها تزداد خشيتك ومراقبتك لله -سُبْحَانه- ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥].

لذا كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في اليوم الواحد يستغفر الله مائة مرة، قال: «والله إني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة،». بل أحيانًا في المجلس الواحد، كما قال ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «كنا نعد لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المجلس الواحد، رب اغفر لي رب اغفر لي، أو ربِ اغفر لي وتب عليَ أنك أنت التواب الغفور، سبعين مرة في المجلس الواحد». فاجعل لنفسك وردًا من الاستغفار، تُدفع به عنك المصائب، فالله يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. تدفع عنك الخسائر، الخسائر في المال، المصائب في البدن، المصائب في الأولاد، وغير ذلك، يُدفع عنك بسبب الاستغفار ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

إخواني، قال الله -سُبْحَانه-: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)﴾ [الشورى: ٢٦]. قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. من العلماء من قال: يستجيب هنا بمعنى: يجيب، أي ويجيب الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. إذا سألوه، ويعطيهم أكثر مما سألوه، فهذا قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. فقد تقول يا رب ارزقني بألف جنيه، تُرزق بعشرة، يزيدك الله أكثر مما سألت، قال العلماء: أم موسى لما حملت بولدها موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خشيت عليه أثناء الحمل، خشيت إذا ولدت ستأتيه شِفار الذباحين، والمواسي، والسيوف، والسكاكين لفصل رأسه عن جسمه إذا وُضع، فدعت، دعت ربها بماذا؟ أن يُسلم ولدها، وأن يحفظ ولدها، فماذا كان سلم الله ولدها، وكانت تدخل قصر فرعون ترضع ولدها كيف شاءت، وتأتيها الهدايا والإتحافات، وتشفع فتقبل شفاعتها، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. قال -تعالى-: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

فلا تمل من دعاء الله، بل أكثر من دعائه، وأكثر من رجائه، اسأله كل ما تريد، هو يحب منك ذلك، حتى إذا اعتراك هم، يا رب اصرف عني هذا الهم، إذا تضايقت يا رب اصرف عني هذا الضيق، ابتليت بجار سوءٍ يا رب اصرف عني جار السوء، شوكةٌ دخلت في رجلك، يا رب اصرف عني هذه الشوكة، اسأل الله أن يرفع عنك وعن المسلمين كل بلاء، وأن يحل بك خيرٍ ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وكما قال العلماء:

الله يغضب أن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يُسأل يغضب

واستأنسوا لذلك بقول الله -تعالى-: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾. أي: عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:

٦٠]. فأكثر من سؤال الله، لا تمتنع من أن ترفع يديك وأنت ذليل لله -سُبْحَانه- لا تمتنع من أن تدعو الله وأنت في سجودك، وتظهر ضعفك وذلك وانكسارك بين يدي الله، وتُلح في الدعاء، أفعل ذلك ولا تتردد، وجهٌ آخر في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. أي: لربهم إذا أمرهم، فإذا استجابوا له زادهم من فضله، ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦]. والنظم القرآني غير نظمٍ، فقد يقول قائل: أنا دعوت الله أن أرزق بمالٍ كثيرٍ، وأن أصبح مليونير، فلماذا لم تجب دعوتي؟ فيقول -تعالى-: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾ [الشورى: ٢٧]. فكل الأمور تجري بقدر، وأنت ترى المطر ينزل من السماء كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ولو شاء الله لاستمر المطر، فأغرق الأرض ومن عليها، ولو شاء الله لمُنع فتلفت الزروع، وهلك الناس، وهلكت الماشية، ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾. فالغيث لو ازداد غرق الناس، ولو امتنع لهلك الناس جوعًا وعطشًا كذلك، فالله ينزله بقدر.

وهكذا الأرزاق ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي﴾ [الشورى: ٢٧]. لبغوا في الأرض، كما قال -سُبْحَانه-: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾ [العلق٦- ٧]. إن رأى نفسه مستغنيًا عن الناس بدأ في الطغيان، وكما قال الله -سُبْحَانه- أيضًا: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣]. وكما قال: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إليه مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨]. فأكثر الناس يخفقون، وينهزمون أمام فتنة المال.

وذكر في الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الثلاثة الذين ابتلوا، الأقرع، والأبرص، والأعمى، فقراء مصابون بالداء، هذا أقرع وفقير، هذا أعمى وفقير، ذاك أبرص وفقير، فابتلوا بملكٍ يمر عليهم في صورة رجل يسأل كلًا مراده، أحدهما يقول اسأل الله شاة أتزود بها، أو إبلًا، كلٌ يأكلُ مراده، وأن يذهب الله عني الداء، فابتلوا في

حديثٍ طويل فأخفق الأبرص والأقرع، وقالوا: إنما ورثنا المال كابرًا عن كابرٍ، ورفض أحدهم أن يتصدق بشاةٍ، مع أن له وديان من الشياه، ورفض أحدهم أن يتصدق ببقرةٍ مع أن له وديان من البقر، والثالث الأعمى وفقه الله، فالحاصل: أن الله قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾ [الشورى: ٢٧]. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]. تيأس، أنه لا رزق، وإنك ستهلك، وأن الأولاد سيضيعون، فإذا برزق الله يأتيك ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨]. حتى تعم الكافر أيضًا ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

ومن آياته الدالة على قدرته، والدالة على وحدانيته ﴿خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الشورى: ٢٩]. وما نشر فيهما وفرق من الدواب، فهذه أمة النمل تسير، تبحث عن رزقها في فصل الصيف، تراها تمشي مرتبةً لها قائد يقودها، تأتي بالقمحة حبة القمح، تفتتها وتحملها وترجع تخزنها، وتذهب كرة ثانية، وثالثة، أمة من الأمم تعيش ما نعيش تتخاطب فيما بينها كما أننا نتخاطب، انتقل إلى أمة النحل وما أعظمها من أمة، أنتقل إلى أمة القطط وسائر الأمم دوابٌ فرقها الله ونشرها، خلقها دالٌ على قدرة الله، وعلى عظمة الله، وكلها تسبح لله، وتحمد الله تكبره وتوحده، وتجله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨]. لكن الإنسان ليس كذلك، ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

قال -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ [الشورى: ٢٩]. أي يجمعهم يوم القيامة في الوقت الذي يريده الله، فحتى الدواب ستحشر، تحشر لماذا؟ تحشر ومن مقاصد حشرها القصاص، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة،

حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ومر -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مع الزبير بشاتين تنتطحان، فسأله أتدري فيما تنتطحان؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: لكن الله يدري وسيأخذ للمظلومة ممن ظلمتها أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-». قال -تعالى-: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]. ثم يبين الله جوابًا على سؤال قد يرد على أذهان الكثيرين، فيقول -تعالى-: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى: ٣٠]. أي يتجاوز عن كثير لا يؤاخذ الناس به، وإلا لو أخذ الناس به ما ترك على ظهرها من دابة، قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾. أية مصيبة؟ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

ورد: «أن أبا أيوب الأنصاري -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-خرجت في يده دُملة، فنظر إليها وقال: استغفر الله، استغفر الله، فقال له قائلٌ في ذلك: ما وجه استغفارك يا أبا أيوب، من الدملة التي ظهرت في يدك؟ قال: وما يدريني لعلها بذنبي، والله يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.». قد تحل بك خسارة في المال بذنبك، فتتمرد عليك زوجتك بذنبك، قد تفاجئ بابنتك تغازل شابًا بذنبك، قد تفاجئ بمالٍ يسرق منك بذنبك، فالبلايا تسلط، ومن أسباب تسليطها في كثير من الأحيان الذنوب، فلذا لزمنا أن نُكثر من الاستغفار، للآية الكريمة ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. فالبلايا تسلط على الأمم، وعلى الأفراد ،على الشعوب، وعلى الجماعات بذنوبٍ ترتكب، ومعاصي تقترف، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم، فمن مقاصد تسليط البلاء على العباد أرجعوهم إلى الله، قال الله -سُبْحَانه-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الأعراف: ٩٤]. بالشدة والضر في البدن والفقر، لماذا؟ قال -تعالى-: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. وقال -تعالى-: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال –تعالى-:﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠].لماذا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. فأمام أي حدث انظر، ماذا استفدت من هذا الحدث؟ أمام أي مشكلة تحصل في البلاد، أو بين العباد انظر ما الذي استفدته أنت؟ هل اقتربت من الله بسبب هذا الحدث أم ابتعدت؟ إن كنت اقتربت فهذا المأمول، والمحمود، والمنشود، وإذا كنت ابتعدت عن طريق الله فهذا الضار المضر، أي حادثةٍ تحدُث انظر هل أنت اقتربت معها إلى الله؟ أم أنك ابتعدت عن طريق الله؟ إذا كنت اقتربت من الله فهنيئًا لك، حتى وإن أُصبت بضرٌ في بدنك، أو قلة في مالك، لكن اقتربت بقلب وعملك على الله، فالحمد لله على هذا الذي ردني إلى الله –سُبْحَانه- وَتَعَالَى- الحمد لله على هذا الحدث الذي رجعني إلى الله –سُبْحَانه- وَتَعَالَى- أما إذا استفدت بالحدث بعدًا عن طريق الله، حتى وإن اغتنيت، حتى وإن عُفيت من الحدث، فلا تظن أنك على خير وأنت بعيد عن طريق الله –سُبْحَانه- وَتَعَالَى-.

فاستفيدوا، أيها الإخوة، من الأحداث التي تمر بكم رجوعًا إلى الله، وإنابةً وإخباتًا إلى الله –سُبْحَانه- لعل الله أن يكشف الضر عنكم وعن أمة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ألا واستغفروا ربكم، إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

ففي مثل هذه الأيام من آلاف من السنين قد مرت، كان ثمَ مطاردةٌ مثيرة، وثم كربٌ عظيم إذ كان فرعون وجنده يطاردون موسى –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وبكل قوته، وبكل ضجهِ وضجيجه، وجنده وعتاده، يطارد موسى مع بني إسرائيل، موسى –عَلَيْهِ السَّلَامُ- يُمعن في الفرار، وفرعون وجنوده يمعنون في الإسراع لملاحقة موسى –عَلَيْهِ

السَّلَامُ- ومن معه، ويتوعدهم بالقتل وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، هذه كانت في مثل هذه الأيام مطاردة مثيرةٌ صوب البحر الأحمر، موسى وبنو إسرائيل، يتجهون مسرعين للنجاة والفرار، والآخر بجنوده وجحافله يلاحقونهم، فاشتد الكرب واشتد، وكاد البلاء أن يحل، وأن ينزل ﴿تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾. [الشعراء: ٦١]. رأت فئة فرعون فئة موسى، فاستبشروا، بأنهم سيقتلونهم، وسيبدينهم، ورأت فئة موسى جند فرعون فأيقنوا بالهلاك، قالوا لنبيهم موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]. الأمر قد قضي، سيُقضى علينا ستقطع الأيدي والأرجل من خلاف ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾. ولكن ثقة المؤمن بالله لا تنقطع، فالذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله، فقال الكليم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مقولة الأنبيَاء نحو التي قالها النبي لأبي بكرٍ: «إذ كانا في الغار، وصاحبه يقول له: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فيقول: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما». فقال: أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا﴾ [الشعراء: ٦١]. كلا لن ندرك أبدًا، لن يضيعنا الله -سُبْحَانه- وَتَعَالَى- قد وعدني وعدًا حقًا ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. فأوحي إليه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. انشق البحرُ، انفلق فلقتين عظيمتين بينهما يبس ممرٌ يابس ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]. تجاوز موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وجنوده ومن معه من بني إسرائيل المستضعفين، تجاوزوا البحر، وكان بالإمكان أن يقف فرعون متأملًا ما الذي حدث؟ البحر ينشق معجزة حصلت، كان له أن يقف مفكرًا حتى ينظر ما الذي حدث، لكن الله قربه كما قال: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤)﴾ [الشعراء: ٦٤]. أي قربنا هنالك فرعون وجنوده فلم يترددوا لاقتحام البحر، فلما اقتحموه وسلم الله موسى ومن معه، هذا البحر كما كان، فأهلك الله فرعون ومن معه، وسلم الله موسى ومن معه، في مثل هذه الأيام التي نحن عليها مقبلون، يوم عشوراء، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لما قدم المدينة فوجد اليهود يلعبون، فسأل ما هذا؟

قالوا هذا يومٌ نجى الله فيه موسى من الغرق، وأغرق الله فرعون ومن معه، فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: نحن أحق بموسى منهم، نحن أولى بموسى منهم، فصام عاشوراء، وأمر بصيامه». واستمر صومه فرضًا على المسلمين، إلى أن نزل رمضان فنُسخت الفرضية وبقي الاستحباب، إذ النبي قال: «أحتسب على الله أن صيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله يكفر السنة الماضية». فيا هنيئًا له من وفق لصيام يوم عاشوراء، يا هنيئًا له بمغفرة الذنب، وإقالة العصرة، ومحو الخطيئة، يا هنيئًا له من فعل ذلك، وقد قال الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل موته بعام: «لئن عشت إلى قابلٍ لأصومن التاسع». ولكن أعجلته المنية فمات، ولم يدرك عاشوراء المقبلة مات رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولذا فإن عبدالله بن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كان يذهب إلى أن الذي يصام هو يوم التاسع من شهر الله المحرم، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لئن عشت إلى قابلٍ لأصومن التاسع». أما الجمهور فقالوا: الذي يصام العاشر، ويستحب صيام التاسعِ كذلك، لأن النبي تمنى أن لو عاش لصام اليوم التاسع أيضًا -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، فيا هنيئًا له من وفق لصيام التاسع والعاشر من هذا الشهر الكريم، يا هنيئًا له من رُزق ذلك فاستعينوا بالله، استعينوا بالله على صيام هذين اليومين، واسألوا الله -سُبْحَانه- وَتَعَالَى- التوفيق لذلك، «فما زال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه، إذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به». الحديث، وأيضًا، يعني يا هنيئًا له من درب أولاده على الصيام، قالت الربيع بنت معوذ: «كنا نصوم عاشوراء ونصومه صبياننا، فإذا جاء أحدهم جعلنا له اللعبة من العهن». أي: من الصوف تعني حتى ينشغل، «حتى تغرب عليه الشمس». فصوموا عاشوراء، وصوموه أبناءكم، وصوموه نسائكم، بل وصوموا معه التاسع تسعدوا ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

«ومن صام يومًا في سبيل الله، باعد الله بينه بين وجهه وبين النار سبعين خريفًا». وقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أيضًا: «أفضل الصيام بعد رمضان، شهر الله المحرم». فالصوم في مثل هذه الأيام مستحبٌ ومحمودٌ عمومًا في شهر الله المحرم، فأكثروا من الصوم فيه، -بارك الله فيكم-، والمحرم كما لا يخفاكم من الأشهر الحرم، فهي ذو القعدة، وذو الحجة، وشهر الله المحرم، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان، وقد قال -تعالى-: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. فمقابل ظلم النفس، نعمل الخيرات، فمن كانت له رحم مقطوعة فليبادر بوصلها، من كان عاقًا لأبويه، أو أحدهما فليبادر بالبرِ، من كان أساء إلى الجار، فالجار حتى الجار في العمل، حتى الجار في المحلات في الدكاكين، ما زال جبريل يوصيني بالجار، يقول كما قال العلماء: يا محمد استوصي خيرًا بالجار، أحسن إليه أكرمه «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. إلى قوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦].

فأحسنوا إلى الجيران، وصلوا الأرحام، وبروا الآباء والأمهات، كونوا مباركين على الناس، كونوا مباركين نفاعين لخلق الله، ليحنوا غنيكم على فقيركم، ليرحم قويكم ضعيفكم، ليشفع ذو الشفاعات منكم لإخوانه الضعفاء، الذين يحتاجون إلى شفاعات، وثم سنة مهجورةٌ ألا وهي سنة إطعام الطعام، سُئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أي الإسلام خيرٌ يا رسول الله، الحديث في الصحيحين، «أي الإسلام خيرٌ يا رسول الله؟ قال: إفشاء السلام، وإطعام الطعام». وقد قال -تعالى-: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان: ٨- ٩]. «فأطعموا الطعام، صلوا الأرحام، صلوا بالليل والناس نيام». احسنوا إلى الأرامل والأيتام، والفقراء والمساكين، فأنتم في شهرٍ الحرام، ولا زلتم وحافظوا على أنفسكم لا تظلموها، حق نفسك عليك أن تُؤمن وأن تبحث لها عن منزلٍ كريم يوم القيامة، حق

نفسك عليك أن تنزلها أحسن المنازل يوم القيامة، فإذا ظلمتها وأنزلتها الجحيم، فقد ظلمتها كل ظلمٍ، هل ظلمتها وأهنتها وأزللتها، إذا أنزلتها الجحيم، أو إذا تسببت في فضيحتها يوم الدين، فلا تظلموا أنفسكم، ولا تظلموا عباد الله، فالمؤمنون لكم إخوة، وربنا ليس بغافلٍ أبدًا ﴿عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. قال -تعالى-: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢)﴾ [إبراهيم: ٤٢]. فلا تظلم مسلمًا، ولا مسلمة، ولا تظلم نفسك، إخواني، أصلحوا قلوبكم، درج بعض السلف على الدعاء أثناء طوافهم، اللهم اصلح لي قلبي، اللهم اصلح لي قلبي، إذا صلح القلب، صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، فاصلحوا أنفسكم وكونوا مباركين على العباد، وكونوا قوامين بالقسط، افعلوا الخير لعلكم تفلحون.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم سلمنا وأمة محمدٍ من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم اجعل لنا من لدنك وليًا، واجعل لنا من لدنك نصيرًا، اللهم اجمع بين قلوب أهل مصر، وبين قلوب المسلمين على كتابك وعلى سنة رسولك الأمين، اللهم اصرف عنهم نزغات الشياطين يا رب العالمين، واصلح ذات بينهم، واهديهم جميعًا سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، وسُد عنا الدين وعن المسلمين، وهب المسيئين منا للمحسنين، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ١٠]. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ألا وصلوا وسلموا على البشير النذير، محمد بن عبدالله - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَ-.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=iz٧٥vb-qKpk&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=٤٧

https://www.youtube.com/watch?v=Y-T٥KQXgfeA&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=٤١

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share